

# واقع الزوايا الدينية بمنطقة تيديكلت بالجنوب الجزائري

الأستاذ عبد الجليل ساقني  
المركز الجامعي تمنراست

## مقدمة

لقد أدت الزوايا أدوارا بارزة منذ بداياتها، فقد كانت بمثابة دار العدل التي يعود لها الناس لحل النزاعات بين المتخاصمين وإعطاء كل ذي حق حقه، فاستطاعت بذلك الزاوية أن تقضي على الفتن داخل المجتمع، كما ساهمت في تعليم قواعد ومبادئ الإسلام لدى أفراد المجتمع، بالإضافة إلى أمور ثقافية أخرى منها إحياء المناسبات الدينية، وإقامة مسابقات لحفظ القرآن الكريم والترتيل والتجويد... وغيرها من تلك الأمور الثقافية التي ساعدت في مواجهة الفساد

الأخلاقي ونشر مختلف الفضائل ومكارم الأخلاق. وعندما ننظر إلى منطقة تيديكلت ونبحث فيها عن الزوايا نجد فيها عددا لا يستهان به، فهناك: الزاوية الأحمدية، زاوية علي بن أبي طالب، الزاوية الفقهية ذي النورية سلسلة زاوية الشيخ بلكير، زاوية الرحمة، زاوية الشيخ عبد اللطيف، زاوية الحاج العماري، وغيرها من الزوايا الأخرى الموجودة بمنطقة تيديكلت سواء العاملة منها أو غير العاملة. لقد كانت هذه المؤسسة الدينية ذات فضل على المجتمع المحلي للتيديكلت سواء

مساحات كبيرة عن مختلف ولايات الوطن فهي تبعد عن الجزائر العاصمة بحوالي 1300 كلم وعن مدينة غرداية بحوالي 700 كلم وعن تمنراست كذلك ب700 كلم، وترتفع تيديكلت على مستوى سطح البحر بحوالي 294 متر. أما فلكيا فتقع بين خطي طول 2° و 4°، 10° شرق 25، 16° و 28، 25° شمال خط الاستواء.

الزوايا الدينية بمنطقة تيديكلت: الزوايا بمنطقة تيديكلت مثلها مثل باقي الزوايا الدينية الأخرى في ربوع الوطن، وتنقسم إلى قسمين زوايا فاعلة (عاملة) وزوايا غير فاعلة (غير عاملة). وحسب مفهوم المنطقة فإن الزوايا العاملة هي التي تأوي التلاميذ، والتي تقوم بتدريس مختلف العلوم الدينية والثقافية الإسلامية، وتعمل كذلك على

في وقت الاستعمار أو بعد الاستقلال من خلال التعليم والتوعية وإصلاح الأفراد، إلا أنه ومؤخرا بدأنا نرى تراجع دور هذه المؤسسة، وكذلك تراجع الإقبال عليها من قبل الناس مقارنة بالسابق، فما هو واقع الزوايا بتيديكلت، وما سبب تراجع الإقبال عليها حاليا؟

تيديكلت باللفظ البربري هي المنخفض المشابه لراحة اليد (الكف)، وهي مساحة شاسعة تتكون من عين صالح، اينغر، فقارة الزواي، إيقسطن، الساهلتين، عقبة عين الحجاج، منفذ هضبة تادمايت، وتمتد حتى منطقة أولف، وفي القاعدة السفلى لهضبة تادمايت يوجد سهل تيديكلت الذي يظهر بشكل مقعر نوعا ما من الشمال الشرقي إلى الجنوب الغربي. فالتيديكلت تقع في وسط الصحراء الجزائرية تفصلها

البلدان، ولا تقوم بجانب التعليم والتدريس، ونذكر منها زاوية سبعين صالح، زاوية الشيخ باسه، زاوية سيدي سليمان بن داود وسيدي الحاج محمد المداني، وزاوية سيدي محمد بن داوداوة، وزوايا عديدة أخرى.

وهناك أيضا في منطقة تيديكلت بعض الزوايا عبارة عن تسمية فقط فلا تدريس فيها ولا إيواء، فقام صاحبها بتأسيسها وسماها زاوية وهذا من أجل الحصول على مآرب خاصة يرى بأن الزاوية قد تحققها له، وهذه ما سماه الشيخ الولفي بزوايا للزوايا.

كما لا تخلو الزوايا العلمية الفاعلة في المنطقة من المرافق التابعة لها، فليدها أقسام لتعليم القرآن وعلوم الدين، ولديها مسجد يصلي به الناس، ولديها أيضا المراقد وأماكن النوم والمبيت حيث يقيم الطلبة

الحفاظ على التراث الإسلامي خاصة في المنطقة، وهذا لا يكون إلا من خلال بث روح الإيمان والإسلام الصحيح في قلوب التلاميذ والطلبة.

كما تقوم هذه الزوايا الفاعلة العلمية بتنظيم ملتقيات سنوية وندوات فرعية على مدار السنة، ويتخلل هذا كله حضور بعض الأساتذة والباحثين وأصحاب الشأن إلى هذه المؤسسات، كما أن هذه الزوايا تقوم بالتنسيق فيما بينها من خلال وضع أهداف عامة مفيدة للمجتمع والناس بغض النظر عن الأهداف الثانوية لكل هذه الزوايا، وتقدر بخمس زوايا فاعلة، أربعة منها في عين صالح وواحدة في أولف وهي زاوية عقبة بن نافع<sup>(1)</sup>.

أما الزوايا غير الفاعلة فهي التي تقوم فقط بإيواء الغرباء وعابري السبيل الذين تنقطع بهم السبل وهم في ترحالاتهم بين

الخشبي على ألواح خشبية  
مصنوعة خصيصا لهذا الغرض.

كما تساعد الزوايا في  
المنطقة دَوْر القضاء، فتقوم بحل  
النزاعات والخلافات التي تحدث  
بين الناس، فهؤلاء يلجؤون  
للزوايا ولشيوخها قبل المحاكم  
وخصوصا المشاكل العائلية،  
ففي السنوات الأخيرة مثلا أكثر  
من 40 ملف ذي صراع وخلاف  
قامت زوايا المنطقة بحلها بدون  
اللجوء للمحاكم.

وزوايا المنطقة تابعة لطرق  
صوفية من الطرق الموجودة عندنا  
في البلاد فالأغلبية تابعة للقادرية  
وبعضها التيجانية والشيخية،  
لكن هذه الزوايا تابعة للطريقة  
بالتسمية فقط فهي لا تطبق قواعد  
وتعاليم الطرق بحذافيرها.

أسباب تراجع الإقبال على  
الزوايا بمنطقة تيديكلت:  
- العولمة والغزو الثقافي،  
حيث إن مجتمع تيديكلت كان

والتلاميذ، وبيوت أخرى خاصة  
بعايري السبيل.

أما فيما يخص طرق التدريس  
فشيوخ الزاوية هو المكلف الأول  
بأمور الزاوية وهو الذي يقوم  
بتدريس المواد الهامة للناشئة،  
وله أيضا أوقات أخرى للتأليف  
والذكر، وأوقات لاستقبال  
الضيوف والزائرين.

كما نجد في الزوايا الطلبة  
الذين يقومون أيضا بالتدريس  
في المدارس القرآنية وهؤلاء  
منهم موظفون من وزارة الشؤون  
الدينية كمعلمي قرآن.

ومن مواد التدريس طبعا  
هناك القرآن بشكل أساسي،  
وبعض العلوم الدينية الأخرى  
كالفقه والحديث والسيرة، وهذا  
خاصة في فصل الصيف، وهناك  
أيضا تدريس المتون والتي يقوم  
أحيانا الشيخ بتدريسها، وكتابة  
القرآن كما جرت العادة التقليدية  
القديمية تكون بالدواة والقلم

الغزير كان الجميع يقبل على هؤلاء الشيوخ في زواياهم سواء الكبير والصغير، الرجل والمرأة، ولكن بعد رحيل الشيخ عن هذه الدنيا وانتقاله إلى الرفيق الأعلى، وغياب من يعوضه بكل ما كان يتميز به، تغير الحال وقل وتراجع الإقبال على الزوايا، لأن محورها الرئيس قد غادرها.

. تراجع وضعف الوازع الديني لدى الأشخاص وانتشار النظرة المادية، فبدل الذهاب للزاوية أو المدرسة القرآنية يفضل الكثيرون ذهاب أبنائهم إلى المدارس النظامية الأكاديمية ويحرصون على ذلك فقط لأنها توفر لهم مستقبلا من خلال تحصلهم في الأخير على شهادة تسمح لهم بالعمل في مؤسسات حكومية، وبالمقابل فالزاوية لا توفر هذا الأمر.

. يمكننا أن نقول كذلك إن طبيعة هذه المؤسسة التقليدية

بمعزل عن هذه الأمور، ومع تطور التكنولوجيات وتعدد وسائل الاتصال داخل المجتمع أثر هذا إيجابا وسلبا في المجتمع، ونتحدث هنا عن جانب السلب. فعندما نرى أبسط وسائل العولمة التكنولوجية الحديثة من هواتف نقالة وأترنت... إلخ لم يعرفها آباؤنا من قبل وعرفها الجيل الحالي في ظرف قصير ودون أن ندرك تغيرت تفاصيل الحياة اليومية، فما كان لا يجوز في الماضي أصبح ضروريا وواجبا حاليا بحكم الوقت وبحكم الموضة والتطور، والذهاب إلى الزوايا والمدارس القرآنية صار من الماضي في وقت العولمة.

. في وقت ليس ببعيد في المنطقة كان شيوخ الزوايا يمثلون الكل في الكل في هذه المؤسسات، وكان يتمتعون بمصداقية واطاعة من قبل سكان المنطقة، وبحكم قيمتهم وعلمهم

مؤسسة تربوية يوجد فيها الطفل ويتفاعل معها ففيها ينال الفرد مقومات نموه الفكري والجسمي والصحي، وفيها يتعلم الخير والشر، ومنها تبدأ أول خطواته للاتصال بالعالم المحيط به، فالأسرة تنجب وتربي وتعلم.

ولطالما كانت الأسرة بمنطقة تديكلت تقوم بهذه الأمور بتفان وجدية تامة، وكانت تحرص على ذهاب أبنائها إلى الزاوية والمدارس القرآنية من أجل تعلم القرآن والأخلاق وأمور الدين، وكان الأب أو الأخ الأكبر يراقب هذه العملية دوماً وباستمرار، أما مؤخراً وللأسف تراجع ذلك الإصرار والصبر من أجل إنتاج أفراد صالحين، وما نراه اليوم من مصائب ومشاكل سواء داخل الأسر أو في المؤسسات الأخرى أو في الشارع هو نتيجة ضعف تربية الأسرة للأبناء.

سواء في مكوناتها وهياكله أو في برامجها التعليمية أصبحت قديمة ولا تتماشى مع الوقت الراهن وقت العولمة والعصرنة، كما أن هناك بعض الزوايا بمدارسها القرآنية لم تعد تعمل بشكل جاد وجدي وتوفر التعليم الذي كان فيما سبق.

. كما يمكننا القول إنه في السابق كان شباب وطلبة الزوايا يقبلون عليها ويدرسون بها لتكوين أنفسهم وللمحافظة على دينهم، وفي نفس الوقت يذهبون للعمل بالأرض في ملكهم أو عند صاحب أرض بأجر معين، ولكن مؤخراً وبعد ظهور وظائف أخرى جديدة توفر مدخولاً أفضل وحياة أفضل، وجد الشباب أنفسهم مضطرين للتخلي عن هذه المؤسسة من أجل التنقل والسفر للعمل خارج المنطقة.

. تراجع دور الأسرة في التربية والتوعية والتي تعتبر أول

بالياقوتة حيث تعرض فيها  
إلى أصول وفصول الأدب  
والسلوك<sup>(2)</sup>.

وكان الجيلالي لخضر بن  
بوحوص بن الشيخ الحاج محمد  
بن سيدي الحاج بوحوص بن  
عبد القادر بن محمد، أحد أحفاد  
سيدي الشيخ قد قام بتأسيس  
زاوية بمنطقة فقارة الزوى بعين  
صالح، وكان ذلك قبل القرن  
الثاني عشر الهجري، وبعدما  
أسسها رحل عن المنطقة تاركا  
أبناءه الأربعة: الشيخ، وسيدي  
بوحفص، وسيدي عبد الحاكم،  
والحاج محمد، وهذا الأخير  
هو الذي بقي في فقارة الزوى  
واهتم بالزاوية.

ومنذ تأسيسها لم يكن لها  
نشاط معين فكانت تقوم فقط  
بإكرام الضيوف وإحياء ذكرى  
التأسيس والتي كانت تقام في  
الخميس الثاني من الخريف في  
كل عام، وكان الحضور بسيط

التعريف بزاوية سيدي الشيخ  
عبد القادر بن محمد

تعتبر زاوية سيدي الشيخ  
بتيديكلت فرعا من فروع الزاوية  
الأم بمنطقة الأبيض سيدي  
الشيخ، وتابعة لصاحبها الشيخ  
عبد القادر ابن محمد الذي ولد  
بقرية الشلالة الظهرانية بنواحي  
الأبيض سنة 1543م.

وهو عالم وفقيه كان من أشهر  
علماء عصره، وقد بدأ تعلم القرآن  
في سن السابعة من عمره حينما  
قاده والده إلى الشيخ الحاج بن  
عمر، وبعده تتلمذ على يد الشيخ  
عبد الجبار والذي كان له مقام  
في منطقة الشلالة الظهرانية، كما  
اتصل بسيدي محمد بن عبد  
الرحمان الثعالبي وتلمذ على  
يده، ثم درس في فاس بالمغرب  
وبتونس أيضا.

وقد قام بكتابة كتابين مهمين  
وهما: رسالة التصوف، وأيضا  
منظومته التائية والمعروفة

وبالنسبة للتعليم أراد القائمين على الزاوية إحضار المدرسين من توات وأدراار لتعليم الناشئة في أقسام الزاوية، ولكن في الأخير اتفقوا على أن يهتم بذلك الطلبة في المنطقة وبمساعدة كذلك من شيخ الزاوية.

وفي سنة 1989 وبمبادرة من شيخ الزاوية المرحوم الشيخ محمد بن عبد الرحمان الزاوي، وبعد مشورته للمجلس الإسلامي الأعلى الذي كان عضوا فيه آنذاك، قام بتغيير مفهوم الزيارة<sup>(3)</sup> (الوعدة) والتي كان الغرض منها زيارة الضريح والتبرك به والدعاء في ذلك المكان، إلى مفهوم الملتقى العلمي لزاوية سيدي الشيخ بفقارة الزوى، وطبعا يحضره علماء في الدين وأساتذة من مناطق مختلفة من الوطن، وهذا قصد التطرق إلى مواضيع عدة تهم

جدا، فكل من يعرف شخصا بمنطقة فقارة الزوي يذهب للغداء عنده، وباقتراب العصر يلتقي الحضور ويتلون المصحف ثم البردة ويختمون القرآن.

وفي الأربعينيات أقر أحد سكان المنطقة وهو أبو بكر حمزة بضرورة توسيع بناء الزاوية، واتفق مع سكان المنطقة على ذلك ودفعوا تكاليف البناء إما نقودا وإما مواشي وإبل، وبعد البناء أصبحوا عند الذكرى يجتمع الناس في الصباح لقراءة المصحف، وبعد ذلك البردة ثم الياقوتة، وعند منتصف النهار يختمون ويلتقون مرة أخرى عند العصر ويقرؤون القرآن ثم البردة ثم الختمة، وبذلك يفترون بحلول المغرب.

وفي سنة 1987 أصبح شباب المنطقة يبيتون بقراءة القرآن من الليل حتى الصباح،

البلد والأمة المسلمة، وباختتام  
أشغال الملتقى تقام الطقوس  
الشعبية الأخرى كتحضير  
رايات وشارات الولي الصالح  
مع الأناشيد الروحية المرافقة  
لإعداد الراية (المحضرة)<sup>(4)</sup>.  
ومنذ أن أصبحت المناسبة  
عبارة عن ملتقى علمي صارت  
مكونة من يومين اثنين وجرت  
العادة بيوم الأربعاء والخميس،  
وبالنسبة لتحضيرات الملتقى  
تبدأ أسبوعاً كاملاً قبل الموعد،  
حيث يلتحق القائمون على  
التحضيرات بفقارة الزوي مقر  
الزاوية ويعدون أماكن استقبال  
الضيوف والزائرين، ويحضرون  
كذلك جميع المستلزمات  
الأخرى من طعام وشراب وكل  
ما يلزم للسير الحسن لأشغال  
الملتقى والمناسبة<sup>(5)</sup>.

### وظائف الزاوية

تقوم الزاوية بوظائف عديدة  
في مجالات مختلفة ففي

المجال الاجتماعي مثلاً نجد:  
. ضمان المبيت لمن  
انقطعت بهم السبل وتزويدهم  
بالزاد والطعام، فكل عابري  
السبيل الذين يمرون بالمنطقة  
ولا يجدون ملجأ تكون الزاوية  
هي المكان الذي يذهبون  
إليه وهي بدورها تقوم بحسن  
رعايتهم .

. إطعام الفقراء والمساكين  
ومد العون لكل الذين يحتاجون  
إليه بالمنطقة، كما تعمل كذلك  
على تنمية روح التعاون والتكافل  
بين الناس .  
كما تساعد الزاوية كذلك  
القضاء بحل المشاكل الاجتماعية  
والتوسط في الخلافات الأسرية  
وهذا إما بحضور المعنيين  
للزاوية وللشيخ، وإما بانتقال  
هذا الأخير إليهم وإلى مكان  
الخلاف لحل الأزمة، بالإضافة  
إلى أنه يقوم بإرشاد الناس  
وتوعيتهم لعمل الخير والعمل

الصغار والكبار وشيخ الزاوية والطلبة الذين يدرسون بالزاوية فيقرؤون حتى صلاة العشاء<sup>(6)</sup>.

وهناك أيضا ما يسمى بالسلكة وهي قراءة القرآن على الموتى، فعندما يتوفى أحد السكان وبعد دفنه يقوم الناس في الزاوية بقراءة القرآن كل واحد يقرأ حزبا لوحده، ويتمون قراءة القرآن كله، بعدها يختمون ويدعون للميت بالرحمة والمغفرة.

ومن الوظائف الثقافية للزاوية تنظيم معارض للمخطوطات القديمة والتاريخية، وفيها يتم التعريف بتاريخ المنطقة وبعلمائها. بالإضافة إلى إحياء المناسبات الدينية وغالبا ما يكون ذلك في المسجد بحضور كل من استطاع، والقيام بمسابقات ثقافية دينية للطلبة والناشئة المنتمين للزاوية.

الصالح الذي يفيد الفرد والمجتمع .

. وفي شهر رمضان تعمل الزاوية على تقديم وجبات الإفطار للناس بعد المغرب، كما تعمل على تزويج الشباب خلال تنظيم الزواج الجماعي.

إما بالنسبة للوظائف الدينية فنجد أن الزاوية تقوم بالتعليم القرآني للناشئين الصغار الذي يقبلون على الزاوية وعلى أقسامها لتعلم القرآن وحفظه، بالإضافة إلى تعليم العلوم الدينية الأخرى من فقه وحديث وسيرة حتى يكون الفرد على معرفة ودراية بتاريخ دينه وينفعه ذلك في حاضره ومستقبله.

بالإضافة كذلك إلى حلقات قراءة الأحزاب والمتون كل يوم بعد صلاة المغرب بحضور

فعلينا بدرجة كبرى أن  
نتصدى لسليات العولمة  
من أجل الحفاظ على ديننا،  
وعلى هذه المؤسسات الدينية  
والتي كانت ذا فضل علينا في  
وقت سابق خصوصا في وقت  
الاستعمار.

2 . تكوين برامج للزوايا  
مدعمة من البرامج النظامية  
الأكاديمية المعمول بها في  
مدارسنا، فمن خلال ذلك  
قد تساهم الزوايا في تكوين  
الناشئة والأجيال القادمة،  
فمثلا في بلدان عربية نذكر  
منها السعودية من خلال  
المدارس القرآنية يقومون  
بالتعرف على مميزات  
وطموحات كل طفل ومنها  
يبدؤون في تكوين الطبيب  
والمهندس والمعلم.

3 . تدعيم الزوايا ماديا  
وخصوصا من ناحية

وأهم وظيفة في الوقت  
الحالي هي الزيارة والتي  
تحولت إلى ملتقى علمي ثقافي  
يحضره العلماء والأساتذة من  
كل منطقة لإلقاء محاضرات  
وسماع أخرى في موضوع معين  
تختاره الزاوية في كل عام.

آفاق مستقبلية لمؤسسة الزاوية

فعلا تراجع الإقبال على  
الزوايا وتراجع دور الزوايا عن  
السابق، وحتى تعود الزاوية  
لسابق عهدها والمساهمة في  
إصلاح المجتمع والمحافظة  
عليه، نقترح ثلاث نقاط  
لذلك :

1 . على مؤسسات المجتمع  
المختلفة خصوصا التربوية  
والتعليمية منها أن تقف إلى  
جانب الزوايا من أجل صلاح  
الفرد والمجتمع، والعودة إلى  
تعاليم الدين والعمل بذلك  
رغم تغير الوقت وصعوبته،

أحوج ما يكون إلى البعد  
الروحي ليحقق توازنه وتستقيم  
أحواله، وما يحقق ذلك إلا  
التربية الروحية الصافية التي  
تنمي الإيمان في النفوس  
وترسخ فيها العقيدة والأخلاق،  
تربية تزرع في القلوب محبة  
الله ومخافته وتغرس فيها حب  
الخير والعلم والعمل والوطن  
أجمع.

المرافق والهياكل والأجهزة  
التكنولوجية الحديثة والحرص  
على حدوث ذلك، من أجل  
إضفاء نوع من التغير والتطور  
لهذه المؤسسات التي صار  
ينظر لها أنها قديمة.  
وما نرجوه أن تبقى الزاوية  
الدينية قائمة شامخة وأن  
تواصل تعليمها وتوعيتها  
للمجتمع، لأن هذا الأخير



## الهوامش

- (1) مقابلة مع شيخ الزاوية الأحمدية الشيخ  
الولفي، يوم 2012/02/02.
- (2) Guenard (e): les ouled sidi cheikh  
in bulletin de la sté de gog. d'ora  
1882 p 329.
- (3) الزيارة بمعنى الوعدة أو اليوم الذي يحتفل  
فيه الناس بذكرى تأسيس الزاوية بمنطقة  
تيديكلت.
- (4) المحاضرة وهي نوع مشترك من الدعاء  
والقيام ببعض الحركات الجسمية التي  
تعود عليها سكان المنطقة
- (5) مقابلة مع شيخ زاوية سيدي الشيخ يوم  
2012/02/01
- (6) مقابلة مع الأستاذ بابي الحاج محمد،  
ناشط بزاوية سيدي الشيخ بفقارة الزوى  
يوم 2012/02/01

